أو تمثيل ببعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام للمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان
خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن
وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله
القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد
سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا
المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه فأمر بقتله
فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القضية ووبخ بقية الفقهاء وسبهم أما
ومن صدرت منه من ذلك الواحدة والفلتة الشاذة ما لم يكن تنقصا أو إزراء فيعاقب عليها ويؤدب
بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وسئل ابن القاسم
عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه
عياض وشرح قوله لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة
ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه
الحرمة فأتوا بما ننزه كتابنا عنه ولولا الضرورة ما أتينا منه ببعض مسائل وما ورد من الجهلة وأغاليط
اللسان كقول بعض الأعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث
لا أبا لكا من أشباه هذا من كلام الجهال ومن لم تقومه آداب الشريعة فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه
وزجره والإغلاظ له عن العودة لمثله وعن الخطاء هذا بنور من القول والله ستر منه وروينا عن عون بن
عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا
وكان من أدركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقل
ما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة وأخبرنا الثقة عن أبي بكر الشاشي
أنه كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وصفاته إجلالا لاسمه وكان يقول هؤلاء يتمندلون
بالله وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في حقه عليه الصلاة والسلام على الوجوه التي تذكر في حقه عليه
الصلاة والسلام قلت ومنه قول مالك وغيره لا يصحب معه ما فيه ذكر الله تعالى لدخول الخلاء
وذكر الله فيه والبيع والشراء أهل الذمة بما فيه ذكر الله تعالى تنزيها للباري تعالى عن أن يكون في محال
القاذورات أو بيد أهل القاذورات أو من لا يعتقد قدره وكذا حمل المصحف وهو جنب أو محدث تنزيها
لكلامه ممن هو بعيد عن العبادات وكذا تنزيه المساجد عن كثير مما فيه ابتذالها من الصناعات ودخول
النجاسات أو الجنب أو المحدث كله تنزيها للمحل ذكر الله تعالى وعبادته إلى غير ذلك وقد تقدم القول في
أهل الأهواء وأصنافهم وذكر القاضي بيان ما هو كفر من أقوالهم أو يتوقف فيه أو يختلف ونحن نذكر منه هذا
الفصل لكونه جامعا لكثير من الواقعات وتحصيل كثير من مذاهب أهل الزيغ والكفر وما يجري ذلك

فصل اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والمبين منه أن كل
مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهو كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق الديصانية والمانيين وشبههم من النصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان
أو الملائكة والشياطين أو الشمس والنجوم أو النار أو أحد غير الله تعالى من مشركي العرب وأهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لم يرجع إلى كتاب ومثله القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذا من اعترف بالإلهية والوحدانية لكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم أو محدث
أو مصور أو له ولدا أو صاحبة أو والدا أو متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره
أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره فهذا كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة
والمنجمين والطبائعيين وكذا من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والقرامطة والنصارى ونقطع بكفر من قال بقدم العالم أو بقائه
أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد
في الأشخاص وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكائها أو خبثها وكذا من اعترف بالإلهية والوحدانية
وجحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا خاصة أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا شك كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن
عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان
بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم والعبيدية من الشيعة قلت قد تقدم معرفة
مذاهب هؤلاء فيما قبل وذكر في المدارك لما عرف ببعض الغروبين واطمأنه الفضل الممسي أحد الفقهاء الذين
خرجوا عليهم واتفاق عامة القيروان على تكفيرهم واحد ما يكفرون به ادعاء ومهم النبوات وتناسخ
وذكر ابن سعد ونفي كتاب التأسي أن مذاهبهم ترجع إلى مذاهب الديصانية وأسسها لهم عبد الله
ابن ميمون وكان ثنويا شعوديا مصرقا في عداوة العرب مشتهرا بالنيرجيات والحيل كثير السعي
في إماتة دولة العرب وردد دولة العجم وادعا منتسبه النبوة ثم تتابعت دولتهم على ذلك حتى درست
وأطفأها الله تعالى وبقيت بعد ذلك في الديار المصرية زمانا حتى درست بقطع صلاح الدين بن أيوب
لها فلعنهم الله لعنة عاد وثمود وقد تقدم إنكار فقهاء القيروان على الشيخ أبي إسحاق التونسي تقسيمهم
إلى كافر وفاسق عياض وكذا من دان بالوحدانية وصحة النبوة وصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
لكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفة
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فزعم هؤلاء أن ظاهر الشرع وأكثر ما جاء
به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والنشر والقيامة والجنة والنار ليس منها
شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح
لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب
فيما أتوا به وكذلك من أضاف إلى نبينا عليه الصلاة والسلام تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو
شك في صدقه عليه أفضل الصلاة والسلام أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)